الثقافة العلمية فى مجلات الأطفال العربية

أ. محمود قاسم

فى المناهج الدراسية، خاصة فى العالم العربى، فإن الطفل لا يبدأ فى تلقى دروس العلوم إلا بعد أن يكون قد استوعب الكثير من المعارف الأساسية، خاصة اللغة العربية والحساب، ومعارف أخرى تؤهله لتفهم العلم وحقائقه فيما بعد.

يعنى هذا فى المقام الأول، أن الصفحات العلمية فى مجلات الأطفال، لابد أن توجه إلى الطفل، الذى يجيد فهم مفردات اللغة، ثم عليه أن يستوعب الحقائق العلمية؛ لذا فإن المجلات التى توجه إلى الأطفال ما قبل المدرسة، وأيضًا لمن هم دون الثامنة أو التاسعة.

والثقافة العلمية حاضرة دومًا أمام الطفل فيما بعد، خلال مراحل عمره التالية، أيًا كانت هوية الدراسة التى سوف يتخصص فيها، حيث عليه أن يتلقى أساسيات العلوم فى الصفوف المدرسية طوال ست سنوات على الأقل، تبدأ فى مصر من الصف الرابع، حتى الصف الأول الثانوى، حيث سوف تبدأ أول مراحل التخصص.

وهذه السنوات الست هى التى تتوجه مجلات الأطفال المهتمة بالثقافة العلمية، أو التى تضع ذلك فى اعتبارها، إلى قارئها، وسوف نرى أن هناك تباينًا واضحًا بين الاهتمام بالعلوم والثقافات العلمية، تعود فى المقام الأول إلى توجهات المشرفين على هذه المجلات ومدى قناعتهم بأهمية تنمية قدرات الطفل العلمية، بشكل يتناسب مع روح المجلات، وأبعد ما يكون عن ما يكتب من مادة علمية جافة، أو مبسطة فى كتب المدارس.

ومن هنا جاء مصطلح "تبسيط العلوم" الذى يتضح فى الكتب أكثر منه فى المجلات، فحسب قراءتنا فى أكثر إصدارات المجلات العربية والعالمية، فإن هذا المصطلح لا يستخدم فى المجلات بقدر استخدامه فى الكتب، ولدى الناشرين. بل أن مصطلح "العلوم" نفسه لا يستخدم بشكل مباشر فى هذه المجلات، وغالبًا ما تستخدم مصطلحات بديلة تدل على المعنى، وسوف نرى ذلك فى الحالات التى اخترناها للدراسة، وتقديمها إلى القارىء.

وسوف نتوقف عند دراسة حالة واحدة تمثل كل بلد من البلاد العربية. باستثناء مصر، حيث سنتوقف عند مجلتين الأولى هى سمير، والثانية علاء الدين باعتبارهما مصريتان، تصدران عن مؤسسات رسمية، عمر الأولى نصف قرن، والثانية أثبتت مكانة فى السنوات الأولى لإصدارها قبل أن تخبو أهميتها.

مجلة ماجد الإماراتية صدرت فى العام ١٩٧٩، وتولى إدارة تحريرها أحمد عمر، الذى عمل مع المجموعة نفسها من المؤلفين والرسامين منذ صدور المجلة وحتى الآن، بما يعنى ثبات الأفكار، رغم التجديدات السنوية التى تضاف إلى المجلة فى عيد ميلادها، وهى تعتمد على القصص المرسومة، وتتمتع بتبويب ذكى، فهناك أبواب للدين، والثقافة العامة، وعلى مدى سنوات المجلة، فإن الأبواب العلمية قد تعددت أشكالها بين فترة وأخرى، فهناك مثلاً فى النصف الثانى من التسعينيات باب يحمل عنوان "بستان المعرفة" ورغم أن العنوان مرن، ومتسع، فإن الصفحات الأربع المخصصة، هى بمثابة طرائف العلم منقولة، مصورة، من وكالات الأنباء، وهى تضم معلومات خفيفة بسيطة حول ظواهر علمية أرضية

وفضائية، ويعنى هذا أن هناك أربع صفحات تدل على مدى التنوع فى المواد المنتقاة، والمختارة ويعد الباب مجد الدين فهمى.

وفى المرحلة نفسها، وسنوات لاحقة تستمر حتى الآن، فإن رؤوف وصفى كاتب العلوم، وتبسيطها يقدم بابًا من صفحتين تحت عنوان "غدًا وبعد غد"، يقدم فيه نفس المعرفة بشكل مختلف هى أكثر حداثة، وتميل إلى الرؤى المستقبلية، من الباب المشار إليه آنفًا، فالفقرات المنشورة يكثف فيها الثقافة الإلكترونية أكثر من الثقافة العلمية التقليدية.

كما أن انتصار عبدالحق تعد فى السنوات الأخيرة باب "هوايات" وهو أقرب إلى التقنيات الحديثة، ويشجع على الابتكار، ويعلم كيف تدار الأجهزة، وتخترع الآلات، وتهتم المجلة أيضًا بنشر قصص الخيال العلمى. وقامت لفترة بعرض قصص الأفلام العلمية، والتى تنتمى أيضًا إلى الخيال العلمى.

أما مجلة "أسامة" السورية، وهى واحدة من المجلات الحكومية القليلة الصادرة هناك، والتى تأسست عام ١٩٤٩، فإنه حسب الأعداد التى وصلت إلينا من إصداراتها فى السنوات الاخيرة، فإنها تضع فى اهتماماتها الثقافة الأدبية بشكل ملحوظ، وتكاد تخلو تمامًا من الثقافة العلمية، إلا من موضوعات عابرة، ففى عام ٢٠٠٣ تولى حسين الإبراهيم الإشراف على باب "أصدقاء الحاسوب" وكيفية إدارته، والتعامل مع أزراره، ولا أعتقد أن هذا من العلم المألوف فى شىء.

إلا أن مجلة "نيلوفر" التى لم يصدر منها سوى أعداد قليلة منذ بداية صدورها فى العام ٢٠٠٣، فإنها تعطى للعلوم مساحة أكبر، وبشكل أكثر جاذبية، ففى العدد الثانى يلاحظ أن الثقافة العلمية موجودة بأكثر من صورة مثل باب "أريد أن أكون مثلكم" الذى يعلم الصغار كيفية التعامل مع التكنولوجيا كيف يصير "ميكانيكى"، "صيدلى صغير"، وما إلى ذلك.

كما تعلم المجلة "ألف باء الكمبيوتر" عن طريق الاستربس فى أكثر من حلقة، وهناك أيضًا باب "لماذا عندى عين" حيث تتحدث أجزاء العين، كل منهم عن نفسها، والمفردات اللغوية المستخدمة هنا تبدو صعبة مع من هم دون العاشرة، بما يعنى أن الباب موجه لأطفال أكبر من ذلك السن عليهم التعرف على الملتحمة والشبكية، والبؤبؤ، وكل ما يتعلق بالعين، كما أن هناك رسمًا علميًا للعين عليه بيانات كاملة.. لمن يريد أن يعرف.

و"نيلوفر" تهتم بشكل ملحوظ بالثقافة العلمية، عكس ما نرى فى مجلة "أسامة" فهناك باب عن "عالمنا" تحدث فى العدد المشار إليه عن "كيف تنقرض الحيوانات"، "ما هو البركان"، "أسماء البحار"، "ما هو الصدى".

لو نظرنا إلى الأبواب الثابتة فى مجلة "العربى الصغير" التى تصدر شهريًا فى الكويت، فسوف نرى أكثرمن باب علمى، بما يعكس رؤية المجلة للثقافة العلمية، هى "العالم يتقدم" الذى يعده رؤوف وصفى، "بيتنا الأرض" الذى يعده محمد المخزنجى "لغة المستقبل" إعداد أحمد عبدالعال، ثم قدوتى العلمية وموسوعة "العربى الصغير".

رؤوف وصفى ينظر إلى عصرنا الذى نعيش فيه بشكل تعكس رؤيته العصرية، فهو مثلاً يتكلم عن

المكنسة الكهربائية الإعصارية، وعن مظلات لإنقاذ الطائرات، وروبوت للبناء والتشييد، هذه العناوين الثلاث تبدو غير تقليدية بالمرة بالنسبة للثقافة التقليدية، فهى عن علوم الحاضر والمستقبل وإنجازات العلم والتقنيات فى بداية القرن الجديد.

أما باب "بيتنا الأرض" فهو عن إنجازات العلم فى شكل أقرب إلى القصص يحكيه طبيب متخصص فى المعرفة العلمية، فهو يقول مثلاً فى بداية إحدى القصص "كان العلم يتمشى وعند ناصية أحد الشوارع توقف مندهشًا عندما رأى رجلين يتناوشان بأصوات عالية".

ويعتبر "لغة المستقبل" عن الكمبيوتر بمثابة التعامل أيضًا مع كل ما هو جديد فى مجال البرامج، والكمبيوتر، والتعرف على المواقع الجديدة، أما "قدوتى العلمية" فهو يتعامل مع العلماء فى كل مكان باعتبارهم قدوة يجب الاقتداء بها، لذا فإنه يأخذ الشكل القصصى.

عرفت الأردن بإصداراتها المتعددة لمجلات الأطفال، ومن القراءة الأولى لبعض الأعداد التى وصلتنا من هذه المجلات، ومنها "أروى" و"وسام" فسوف نكتشف أن المشرفين على التحرير، وأغلبهم من أدباء الأطفال، لا يولون أنظارهم من بعيد أو قريب إلى الثقافة العلمية، وتبدو المجلات متجهة فقط إلى الثقافة الأدبية، والفنية، وثقافة الحكى، والتسالى، والتعامل مع التراث.

وفى لبنان، فإن مجلة "أحمد" تعد الأبرز، والأطول عمرًا، من كافة المجلات، التى تصدر هناك، وهناك اهتمام ملحوظ بما تقدمه من ثقافة علمية بشكل محدود، فتحت عنوان "صندوق الدنيا" هناك فقرات عن معلومات علمية، مثل فوائد اللبن، ومكوناته، وكيف تقرأ الرسالة المشفرة، وهناك أيضًا باب مهارات بعنوان "اصنع بنفسك" وإن كانت الفقرات العلمية التى قدمها الباب قليلة.

أما حسن ماضى فيعد باب "عالم الكمبيوتر" وشبكات المعرفة على طريقة "احفظ حسابك الخاص" و"انشىء حسابًا خاصًا بأخيك الصغير" و"سطح مكتب خاص بالأطفال" والملاحظ أن هذه الأبواب غير ثابتة، فوجودها يتأرجح من عدد لآخر. وكما هو ملحوظ، فإن الفقرات المعلوماتية والمعرفية حول العلم، وقد لا تكون من العلم، مأخوذة مثل أغلب المجلات العربية من الموسوعات المعرفية، أو ترسله وكالات الأنباء إلى المؤسسات الصحفية.

وهناك أبواب علمية فى مجلة "أطفال اليوم" التى تصدر من الإمارات، ففى العدد الصادر فى سبتمبر عام ٢٠٠٢، هناك أبواب "البيئى الصغير"، "تعلم مع المعرفة العلمية"، وتنشر معلومات عن الاختراعات، كما تهتم بتعليم الأطفال قواعد للغتين العربية والإنجليزية، وحتى أبواب التسالى فإنها حول المعرفة العلمية.

فى المملكة العربية السعودية، تعتبر مجلة "باسم" هى الأطول عمرًا، والأكثر أهمية، منذ صدورها فى عام ١٩٨٧، وهى مليئة بالقصص المرسومة والكومكس، والقصص الدينية والأبواب الرياضية، وهناك بابان رئيسيان هما "باسم @ نت" إعداد محمد عاشور، وعنوان صفحات أسبوعية عن الجديد فى الكمبيوتر والإنترنت، أما الثانى فهو "نوافذ المعرفة" وهو عن طرائف العلم، أكثر منه باب عن الثقافة العلمية، فهناك فقرات قصيرة أغلبها عن الحيوانات، أو الحشرات، أو عن أبرز العلماء، مثل جراهام بل، وتوماس أديسون.

وفى مصر، فإن التجربتين اللتين اخترناهما تمثلان طول التجربة، وأيضًا عملتها، وقد لوحظ فى

تاريخ مجلة سمير (٥٠ سنة) حتى الآن، أنها تهتم بالمنوعات خاصة الأدب، والمعارف العامة، ومساهمات القراء، وقد أخذت الثقافة العلمية الحقيقية مساحات محدودة للغاية طوال عمر المجلة، وفى السنوات الأخيرة تعاملت المجلة مع الانترنت، من خلال جمع المعلومات أكثر منه محاولة للتعرف على العلم نفسه، لذا فلا يمكن اعتبار أن باب "البنات والصبيان والحياة" من الثقافة العلمية، قدر ما هى تجميعات معرفية متنوعة.

وقد ظلت المجلة على هذا الحال طوال سنواتها رغم تعدد المسئولين عنها أو رغم أن بعض هؤلاء المسئولين قد ظلوا فى رئاستها لسنوات طويلة، ولم يستطع هؤلاء جميعًا التفرقة بين المعرفة عن العلوم، وبين الثقافة العلمية، وقد خلت المجلة من التعرف الحقيقى على العلوم، ففى السنوات الأخيرة نشرت المجلة بعض الصفحات عن معارف علمية، مثل الديناصورات، لكنها لم تكن عن العلم نفسه، بالمنظور الذى قدمناه.

أما مجلة "علاء الدين" فإنها شهدت فى السنوات العشر الأولى من مسيرتها اهتمامًا بالثقافة العلمية، خاصة فى ظل رئاسة تحرير عزت السعدنى، وقد بدا ذلك من خلال مساهمات رؤوف وصفى، الذى كان يعد بابًا أسبوعيًا تحت عنوان "موسوعة علاء الدين" التى ظلت تنشر فى أربع صفحات لسنوات طويلة، منها حلقات عن "استكشافات الفضاء" ثم توقفت تماما، كما نشر وصفى أيضًا الكثير من قصص الخيال العلمى.

ويعنى ذلك أن المجلة قد اهتمت بالثقافة العلمية الحقيقية، ويتضح ذلك أكثر من خلال مقال أسبوعى متخصص أعده على غنيم تحت عنوان "الكمبيوتر" لا يستطيع متابعته سوى المتخصصون فهو باب تقنى، متقدم يتحدث مثلاً عن مبادئ وتصميم سير العمليات وكتابة البرامج أو "الكمبيوتر ومكوناته" أو "وحدات إدخال البيانات". كما نشرت المجلة طوال أعداد متتابعة "الباب العلمى" "صدق أو لا تصدق" تحت عنوان "من غرائب الطبيعة".

ولعل المجلة العلمية الوحيدة للأطفال فى العالم العربى هى "الباحث الصغير" التى ظهرت فى السودان عام ١٩٧٤، عن دار النشر والمجلس القومى للبحوث، ثم توقفت عن الصدور فى العام التالى، وهدفها هو أن "تحمل الجديد فى عالم المعرفة والعلوم" فى ثوب جذاب، وطباعة أنيقة، وهى تنشر مقالات علمية يكتبها متخصصون، ومن أبوابها "الإنسان والبيئة، حديقة الخرطوم، عناصر الكون، بين المعرفة والخرافة، الحاجة أم الاختراع" وكلها بمثابة مقالات علمية.

مما تقدم يتضح أن أغلب مجلات الأطفال العربية، قد تعاملت مع الثقافة العلمية بتجاهل شديد أو باعتبار أن العلم هو مجرد معلومات عن الحيوانات والعلماء، وإن كان هذا لا يلغى أن هناك مجلات قد اعتبرت أن العلم أمرًا أساسيًا ضمن أهداف المجلة مثلما حدث فى "العربى الصغير"، "ماجد"، "علاء الدين"، أما المجلات العلمية المتخصصة فإنها ظلت إصدارات نادرة للغاية عدا تجربتين هما : "علاء الدين" التونسية، مجلة "الباحث الصغير" السودانية.